سلسلة

رجل لكل العصور

محاضرة

مقدمة رجل لكل العصور

□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□

محمد بن إسماعيل المقدَم

- □□□□ □□□□ -

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمد عبده ورسوله، اللّٰهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد:- فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ρ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:- فنبدأ بإذن الله تعالى في رحلة قد تطول نسبيًا لكنها رحلة ممتعة؛ لأنها رحلة مباركة ونافعة وإن شاء الله تعالى يأتي منها خيرٌ كثير، ألا وهي ترجمة شاملة، مفصلة، لشيخ الإسلام، الإمام الحجة، المجدد للمحجة، وارث علم النبوة، الناصر للسنة، القامع للبدعة، المجتهد المطلق، الشهير بشيخ الإسلام، وبابن تيمية وبهما وبإمام الدنيا في زمانه، أحد أذكياء العالم وأفراده في الحفظ والعلم والعمل.

المحلى قبل بلوغه الثلاثين من عمره بما يبلغ الصفحات بجميل الأوصاف في علمه وعمله واجتهاده، وتجديده وجهاده وإيمانه وصبره وتألهه وزهده وورعه وشجاعته وكرمه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر والتعظيم لحرمات الله، الملقب بتقي الدين والمكنى بأبي العباس أحمد ابن الشيخ الإمام المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم، ابن الشيخ الإمام، شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية بن الخضر بن علي بن عبد الله النميري نسبًا، الحراني مولدًا ثم الدمشقي منشئًا ومدفنًا، الحنبلي مذهبًا، ثم المجتهد المشتهر بابن تيمية، المجدد، المولود في الاثنين العاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة من الهجرة المتوفى في ليلة الاثنين عشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة عن سبعة وستين عامًا وثمانية أشهر وعشرة أيام رحمه الله تعالى.

هذه الرحلة ليست ككل الرحلات لا يقصد بها التسلية أو المتعة مجرد المتعة الذهنية، لكن لأن ابن تيمية شخصية من المحطات أو هو محطة في الحقيقة في غاية الأهمية لمن يريد بالفعل أن يسلك طريق الفرقة الناجية وأن ينتظم في سلك أهل السنة والجماعة بحقه وحقيقته، وهذه السلسة من المحاضرات يعني يرجى منها ثمرات كثيرة أولها وأسهلها حتى لمن من لا يجتهد في القراءة مجرد معنى عبر عنه بعض السلف في قوله: "كن عالمًا أو متعلما أو محبا، ولا تكون الرابعة فتهلك".

كن عالِما أو متعلما، يعني عالِما يعلم الآخرين أو متعلما يطلب العلم من الآخرين فإن لم تكن في هذا ولا ذاك فكن محبًا، أحب العلماء وطلبة العلم، ولا تكون الرابعة وهو المبغض المعادي فتهلك، كثير من الناس رضوا لأنفسهم أن يكونوا من الفئة الرابعة الهالكة بظلمهم لشيخ الإسلام والتطاول عليه رحمه الله تعالى.

ومن حكم الله I أن كل من يتطاول على شيخ الإسلام يسدي إليه معروفًا جليلاً وهو أن كثير من الناس لم يعرفوا شيخ الإسلام إلا من خلال سب وشتم وتطاول الصغار والسفهاء على مقامه الشريف، فكان هذا يفزع الناس إلى أن يتطلعوا من هو ابن تيمية؟ وما هذا الذي يقال عنه؟ فإذا مجرد الاحتكاك المباشر بكتب شيخ الإسلام أو علم شيخ الإسلام وبركاته، دائما كانوا ينضمون إلى حزب الحق وحزب أهل السنة والجماعة وأصحاب المنهج السلفي الأصيل.

القصص في ذلك كثيرة بل كثير من رواد الدعوة السلفية من كثير من العصور إذا تتبعنا تراجمهم سنجد إن بداية التزامه بالمنهج السلفي وانتمائه إليه أنه كان أصلاً ينتدب نفسه لمعاداته كما نرى مثلا دكتور محمد خليل هراس، لما كان يعد رسالة معينة رشح له أستاذه بأن يتكلم عن ابن تيمية فرد عليه بالعبارة العامية يعني قال له ما وجدت أحد مثل هذا الكذا وذكر كلمة عين فاء شين، فرد عليه قال نبين هذه الصفة يعني من خلال هذه

الدراسة فذهب إلى صاحب المكتبة المنيرية محمد منير أغا الدمشقي بالقاهرة وطلب منه أن يعينه بمراجع لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى يستطيع أن يؤدي هذه الرسالة.

فطن الشيخ صاحب المكتبة لغرض هذا الإنسان ومع ذلك تحلم ولم يعلق بشيء وإنما شرع يعينه بالكتب ويمده بالكتب والرجل يخلو بنفسه ويقرأ وكلما قرأ انزاحت عن قلبه الشبهات والضلالات المعروفة إلى أن انتهى بأن تشرب تماما بمنهج شيخ الإسلام ابن تيمية وصار له رسالة معروفة بعنوان ابن تيمية السلفي، لأن أصل الرسالة ابن تيمية ليس سلفيا رد على ذلك هو بقوله ابن تيمية السلفي وهي موجودة ومتوفرة.

الشاهد كثير من الشخصيات كانت على هذا المنحى لأن الحق أبلج نور الشمس لا يستطيع أحد أن يحتكره أو أن يقول امسك بضوء الشمس، وأمنعه أن يصل الناس، هذا لا يستطاع أبدا لا يمكن لأحد أن يمنع هذا النور وهذه الرائحة العطرة أن تنفذ إلى من شاء الله I هدايته.

دائما الذين يتعاملون أو يستفيدون من علم شيخ الإسلام في الغالب تجد نقطة التحول في حياته بحادثة بصورة أو بأخرى أدت إلى اعتزازه بهذا المنهج واستفادته من علم شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ما أحب أن أخوض في أمور شخصية لكن كان لي تجربة معينة في هذا الأمر وإن كان ما ينبغي أن تذكر في هذا السياق لكن أنا الجميل الذي أسدي إليّ رد أن أقابله بأن أسديه إلى من يأتي من الإخوة أو من الشباب الذين لما تستقر توجهاتهم الفكرية بعد إلى وجهة معينة ولعل هذا ينفعهم.

فكنت في نهاية الستينيات تقريبا بدأت أقرأ كان أيامها القراءة الإسلامية كنا في المدارس فريقين اللي هو الإسلامي الملتزم إما أن يقرأ لطه حسين وإما للعقاد، مدرستين متناقضتين ومتصارعتين فنوع من تقليد الكبار لا أكثر، أنا ملت إلى كتب العقاد وكنت أشتري كتب عقاد حتى تقريبا جمعتها كلها، على أساس إن هذا هو الإسلام، ما أمامنا غير هذا، يعني هذا الذي كان متاح في ساحة الفكر يعني، كان في كتب الدكتور محمد البهي بعد

ذلك في وقت آخر لما كان الفكر شيوعي والاشتراكي منتشر، كان له أيضا وقع جيد وموجودة كتب المودودي ومحمد الغزالي إلى آخره.

لكن قبل هذه المرحلة كنا نقرأ إما للعقاد أو طه حسين، هذا الذي يريد أن ينتمي للقراءة الإسلامية، وما كنا نفهم شيء، فبعد ذلك كان العقاد أخف وطأة من طه حسين، لأن طه حسين عدو لدود للإسلام وهذه ما فيها كلام، طه حسين من أعداء الإسلام الصريح تاب أم لم يتب هذه تخصه هو، حسابه على الله لكن نسبة لسمومه وعداوته للإسلام فهذا شيء يعني معروف لا نحتاج أن نفصل فيه.

لكن ما كان أحد يكتشف هذه الأشياء بسهولة في ذلك الوقت، فجمعت كتب محمد الغزالي الكثيرة جدا وكتب المودودي أيضا، لكن العقاد بالذات كنت أجمع له كتبا كثيرة، كنت أتردد على المكتبة الإسلامية الوحيدة في الإسكندرية في ذلك الوقت على ما فيها من الخليط من كتب أدبية وغير أدبية وهي مكتبة علاء الدين في شارع صفية زغلول، هذه كانت المكان الوحيد الذي تجد فيه الكتب الإسلامية، في الإسكندرية كلها فيما أعلم.

فكنا نتردد من وقت وآخر ونشتري هذه الكتابات، ففي يوم من الأيام استوقفني رجل طيب كنت أراه في دروس الشيخ شاهين، كاشف أبو راس رحمه الله تعالى شيخ أنصار السنة كان دائما يحضر هو من أهل النوبة الطيبين، فتجب لي وأخذ ينظر ما الكتب التي أنتقيها وأنظر فيها إلى آخره، فنظر في الكتب فقال لي ما هذا الذي تجمعه؟ قلت له يعني كتب إسلامية، فقال لي أنا أختصر لك الطريق إذا أردت أن تفهم الإسلام فهما صحيحا وشاملا وحقيقيا عليك بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهم الله تعالى.

فالمهم هذه النصيحة العابرة بعد ذلك مباشرة بدأت نقرأ في كتب شيخ الإسلام وطبعا الإنسان شعر بضياع العمر الذي مضى في كتابات لا تثمن ولا تغني من جوع إن لم تكن تسمم العقل، كبعض الكتابات الموجودة في ذلك الوقت، فكانت يمكن نقطة تحول أساسية في الانتفاع بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية.

قد يتصور بعض الناس أننا حين نتكلم عن شيخ الإسلام إن هذا نوع من التعصب لشخص شيخ الإسلام، وهذه طبعا سيأتي في تضاعيف الكلام بيان أن هذا أمر غير صحيح على الإطلاق، لكن ماذا نفعل وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء؟ هو ربنا I جعل شيخ الإسلام محطة تاريخية أصبح يعني ما أقول فقط لمجرد التشبيه وتقريب المعنى يعني سلسلة الأنبياء من لدن آدم υ إلى ما قبل إبراهيم υ كانت تمشي في سلسة في ذرية آدم υ أو بعد ذلك في ذرية نوح.

لكن شاء الله I إن حينما جاء إبراهيم υ فجعل الله في ذريته يعني فيما يأتي بعده ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[العنكبوت:27] تشعبت سلسة الأنبياء كلهم من بعض إبراهيم υ من ذريته فقط حتى لقب بأبي الأنبياء عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، طبعا أنا أقول أن هذا فقط لمجرد التقريب، تقريب الصورة.

فيما أحسب أن التاريخ الإسلامي قبل شيخ الإسلام ابن تيمية صحيح وجدت محطات رئيسية متشعبة في أكثر من جهة لكن الذي يلاحظ أن شيخ الإسلام منذ أن ظهر في التاريخ وتقريبا ما أتى أحد من بعده فعلا صادق في سلفيته وفي إتباع الكتاب والسنة إلا بصورة أو بأخرى يكون نبع من السلالة العلمية، لا أقول سلالة التناسل لكن السلالة العلمية إلى اليوم، حتى أنه يصدق عليه فعلا هذا التعبير الذي نسمي به هذه المحاضرات رجل لكل العصور، كلمة لها مغزى وسوف تدركون ذلك مع الوقت رجل لكل العصور بكل معاني الكلمة.

وسنرى ذلك، لكن طبعا أقصد العصور التي قد تأتي بعده هذه الحقيقة وهذا الواقع، ابحث عن أي عالم سلفي مستقيم على منهج أهل السنة والجماعة سوف تجد نسله العلمي ينتهي إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أو على الأقل إلى أحد من تلامذته، فنحن أولا من خلال هذا نتعرف على رجل من أولياء الله Y من أهل العلم العلماء الربانيين لنحبه لأن الإنسان يحب من يسمع عنه أمثال هذا الخصال الجليلة، سعات نستطيع نفعله أن نحب الشخص

القريب إلى الله Y رجاء يشفع لنا يوم القيامة لأن النبي ρ لما سئل الرجل ليحب قومًا ولا يعمل عمله، قال أنت مع من أحببت.

فيقول الراوي أنا أحب رسول الله ρ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل عملهم، فحتى من لا يستطيع اللحاق بهذه القمم فعلى الأقل يحب أهل الخير، فإن هذا يرجى منه أن يحشر معهم، ولذلك يحشر المرء مع من أحب، فالحب في الله هذه عبادة عظيمة جدا يكافئ الإنسان عليها ربما يشفع لك هذا الذي تحبه في يوم الاحتياج إلى مثل هذه الشفاعة.

ومن ثم قال بعض السلف ما ذكرناه آنفا كن عالما أو متعلما أو محبا ولا تكن الرابعة أي المبغض الشانيء فتهلك، نبدأ أولا باستعراض سريع جدا ثم نفصل فيما بعد لترجمة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، هذه يعني مجرد تصبيرة من البداية لأنني أريد أن أبدأ برسالتين لهما مغزى معين.

الرسالة الأولى لابن شيخ الحزاميين وهو أحد الناس الذين حصل في حياتهم تحول مباشر حينما لقي شيخ الإسلام ودعاه شيخ الإسلام فتحول عن الصوفية إلى المنهج السلف، وألف هذه الرسالة، ثم رسالة ابن مُري وهو أحد تلامذة شيخ الإسلام رسالة رائعة تخطت حدود الزمن ورسالة عجيبة للغاية كما سنرى إن شاء الله تعالى، لأن شيخ الإسلام كما نقول رجل لكل العصور.

ومن أحد معاني هذه الكلمة يعني شيخ الإسلام ليس مثل أي أحد ينتهي تلامذته بموته، شيخ الإسلام أظنه من أعظم العلماء حظا في عدد تلامذته التاريخيين، بمعنى أن مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية مازالت تخرج أجيالا ثم أجيالا من العلماء الربانيين والعباد الصالحين إلى آخره من جراء تلمذتهم على شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا يمكن أن تجد إماما من أئمة الهدى إلا ولا بد أن يكون له اتصال أو يكون من السلالة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وطبعا العلم رحما بين أهله، كان الإمام النووي إذا ترجم لبعض العلماء يقول وهو جدنا في الفقه، جده في القفه، جد يعني تعلم عليه أو على تلامذته أو هو شيخ شيخه بعبارة أخرى، وهو جدنا في الفقه أو في سلسلة الاسناد، فالعلم قرابة يوجد قرابة بين أهله، فهذه القرابة بالمعنى التاريخي ما توجد بصورة أجلى مما توجد في شيخ الإسلام ابن تيمية انظر إلى أي داعية في مثل هذا العصر المتأخر الذي اشتدت فيه غربة الإسلام ومع ذلك تجد الأشعة التي انبثقت من نور ابن تيمية.

يعني ابن باز، الألباني، العثيمين، محمد بهجت البيطار، محمود شكر الألوسي، محمد أمين الشنقيطي، يعني مئات لا أقول عشرات مئات الأئمة في هذا العصر. محمد رشيد رضا مثلا المحطات الكبيرة الرئيسية هذه فتجد لا بد أن يكون انتفع أو استفاد من بركة شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

فشيخ الإسلام اسمه تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين أبا المحاسن عبد الحليم ابن مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن تيمية، طبعا ظاهرة النبوغ أحيانا تنتقل في الأسر، توجد بعض الأسر تتميز بالتاريخ الإسلامي الاجتهاد في العلم، فعائلة ابن تيمية من العائلات التي كلها علماء وهذا فصل سنبينه فيما بعد كما فعل الألوسي رحمه الله تعالى في كتابه جلاء العينين.

يعني يكفي أن أحد مشايخ ابن حجر الذين قرأ عليهم البخاري زينب بنت تيمية، قريبة لشيخ الإسلام اين تيمية، فالعائلة مليئة بالعلماء آل تيمية وهذا ما سنفصله إن شاء الله تعالى فيما بعد، الذي يلفت النظر أيضا أن شيخ الإسلام حراني، يعني أصل شيخ الإسلام كردي، ولذلك بعض علماء الأكراد ألف رسالة أنا لم أطلع عليها لكن سمعت عنها اسم الكتاب علماؤنا في خدمة الإسلام، وذكروا أسماء كثيرة يدهش الإنسان أنه فعلا من الأكراد، لكن أن تزول الدهشة ولا توجد أصلا لأن المسلمين لم يعرفوا أبدا التفرقة

بالجنسيات أو الشعوب أبدا، لأن الإسلام يذيب المسلمين جميعا في بوتقة واحدة يصير ولاؤهم لله ولرسوله ρ وللمؤمنين.

فمنهم ابن كثير مثلا من الأكراد، صلاح الدين الأيوبي طبعا هذا أشهر ما يكون، فالأكراد كان فيهم إلى عهد قريب اجتهاد عظيم جدا في تعليم العلم الشرعي والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة ويعني، والأكراد مازالوا يدفعون الثمن انتمائهم إلى صلاح الدين الأيوبي، الحقد المتوارث من الغرب بالذات تجاه الأكراد بسبب كراهيتهم لصلاح الدين وما كان من صلاح الدين رحمه الله تعالى.

شيخ الإسلام ينتمي إلى المذهب الحنبلي هو ليس مولودا في دمشق لكنه نزل بدمشق ونزح إليه كما سنبين، ولد بحران يوم الاثنين عاشر وقيل ثاني عشر.ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وبقي بحران إلى أن بلغ سبع سنين، حينما جار التتار ونزحوا وهجموا على العالم الإسلامي نزحت أسرة شيخ الإسلام إلى دمشق في ذلك الوقت، وفيها نشأ الشيخ أتم إنشاء وأذكاه وأنتبه الله أحسن النبات وأوفاه.

طبعا طفولة ابن تيمية هذه فصل رائع جدا يعني لما نسمع حكايات ابن تيمية في طفولته ونتعرف عليه منذ أن كان طفلا نجد في ذلك العجب، فلم يزل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى منذ إبان صغره مستغرق الأوقات في الجد والاجتهاد وختم القرآن صغير ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه واللغة العربية حتى برع في ذلك، مع ملازمته مجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار، وأحكم سائر العلوم العقلية والشرعية وبرع فيها، حتى انبهر أهل دمشق من سرعة حفظه وفرط ذكائه، وسيلان ذهنه، كان آية في الذكاء وفي الحفظ شيء عجيب الحقيقة.

اشتهر داخل مدينة دمشق كلها أنه يوجد طفل اسمه ابن تيمية من شأنه كذا وكذا، وله قصة رائعة مع ابن دقيق العيد، لما سمع الإمام الجليل ابن دقيق العيد عن شيخ الإسلام وحفظه وهو صبي طفل صغير، ذهب بنفسه وسأل عنه، فالرجل الذي سأله صاحب

المحل قال له انتظر هو هذا الوقت الذي سيمر فيه وهو ذاهب إلى الكتاب، فأشار إليه أنه هو الطفل الذي قد أتى فاستدعاه الإمام دقيق العيد رحمه الله، وأملى عليه مجموعة من الأحاديث إسنادا ومتنا، فقال له امسك الورقة واحفظها وسأسمعها لك بعد قليل، قال له لا قد حفظتها، بمجرد أن أملى عليه الأحاديث.

فانبهر بذلك فسّمع له كل الأحاديث لم يخطئ حرفا واحد رحمه الله تعالى، لذلك تنبأ الإمام ابن دقيق العيد بمستقبل عظيم لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى، من القصص العجيبة المفروض أن أنتظر أن يأتي وقتها لكن لا مانع من يضمن العمر، لما خرج أقرانه ذهبوا ليتنزهوا وطبعا مناطق دمشق معروفة بالجنات والبساتين وكذا، طلبوا معهم أن يخرجوا معه في النزهة فأبى شيخ الإسلام أن يخرج معهم، فلما رجعوا بعد وقت من هذه النزهة أخذوا يقولون له رأينا وفعلنا، قال هذا الوقت الذي أنفقتموه وأنتم في النزهة استظهرت فيه كتاب روضة الناظر وجنة المناظر، تعرفون هذا الكتاب وصعوبته أم لا تعرفوه؟ الكتاب هذا لمن؟ لابن قدامى المقدسي، فهذا الكتاب من الكتب الصعبة، حاول أن تقرأ فقط الصفحة الأولى وانظر صعوبته.

فشيخ الإسلام في هذه السويعات القليلة عندنا ذهبوا يتنزهوا ورجعوا كان حفظ الكتاب من أوله إلى آخره، حفظه واستظهره تماما، فالشاهد يعني أن طفولة شيخ الإسلام حقيقة فاذة وسوف يأتي المزيد من الكلام في أحواله في صباه وفي طفولته، كانت حياة شيخ الإسلام جهاد متواصلا.

يعني شيخ الإسلام لم يجد وقتا أصلا ليتزوج مع ترغيبه وحثه على الزواج ونحو ذلك لأنه لا يوجد أثر، تتبع حياته أنا جمعتها منذ مدة سنوات كل سنة إما في السجن وإما يجاهد التتار وإما في كذا أو كذا من المحن، فحياة شيخ الإسلام كانت جهادا متواصلا لم ينقطع، سواء جهاد بالسلاح مع التتار في غزوهم العالم الإسلامي أو جهاد مع مخالفيه من الفقهاء والمتكلمين والصوفية وسائر المبتدعين.

وطبعا مما تفخر به الإسكندرية أنها شرفت بشيخ الإسلام صحيح شرف في السجن، لكنه أتى في الإسكندرية حُبس في القاهرة والجماعة الفتوات في منطقة الحسين ضربوه ضربا، وأراد تلامذته يعني يثأروا له فحلف عليهم ألا يتحرك أي واحد منهم في سبيل ذلك.

الشاهد في هذا أيضا كان رب ضرة نافعة، لأن من خصائص الدعوة السلفية التي يقر بها الموافق والمخالف، أنها إذا حوربت تنتعش وتزدهر أكثر، لا أريد أن أخرج لأمور جانبية، لكن كان مجيء شيخ الإسلام هنا بركة على أهل مصر، صحيح كان في السجن لكن كان من خلال السجن يصدر أفكاره إلى الساحة العلمية في الخارجي فحصل تأثر عظيم جدا بعلم شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

أدخل السجن مرارا، ولأنه رجل لكل العصور إذا رجعت لكتاب مثل البداية والنهاية لشيخ الإسلام ابن تيمية تجد في بداية كل سنة من أول ما ولد ابن تيمية إلى وفاته في كل سنة يبدأ السنة بترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، لأن الأحداث خطيرة في حياته لم تتوقف أبدا، أحداث متلاحقة، يقول في هذه السنة حدث كذا وكذا مع ابن تيمية وبعث إلى مصر. وفي هذه المرة حصلت محنة فتوى الحموية الكبرى إلى آخره، فكل سنة كانت تفتتح به أعظم حدث فيها وهو ما كان يجري في حياة ذلك الإمام المبارك.

فسجن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى مرار حتى وافته منيته في حبسه الأخير، مات وهو في الحبس رحمه الله تعالى في العشرين من شوال سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة، وكانت جنازته مشهودة لم يعرف لها نظير رحمه الله تعالى.

نذكر أيضا في هذه الوجبة السريعة، بعض الشهادات إلى أن يأتي تفصيل ذلك فيما بعد، لأئمة الإسلام شيخ الإسلام ابن تيمية، يقول الحافظ شمس الدين الذهبي، طبعا هو الإنسان يعرف أحيانا بأسرته وابن تيمية سليل العلم يعرف بتلامذته، وإذا بحثت عن الأشعة التي انبثقت من نور ابن تيمية لوجدت العجب فيها ذلك ابن كثير من أوفى

تلامذته، ابن القيم، ابن رشيق، الذهبي، المزي، الزملكاني، ابن عبد الهادي، عشرات الأئمة ممن تتلمذوا عليه وكانوا وسيلة لنشر علم هذا الإمام فيما بعد.

فيقول فيه الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى: شيخنا الإمام شيخ الإسلام فرض الزمان بحر العلوم، تقيِّ الدين، إلى أن يقول وله خِبْرَة تامَّة بالرِّجال، وجَرْحهم وتَعْديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنَّازل، والصَّحيح والسَّقيم، مع حفظه متونه الَّذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يُقارِبه، وهو عَجَيبٌ في استحضاره، واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب السِّتَّة والمُسند بحيث يَصْدُق عليه أن يقال: كلُّ حديثٍ لا يعرفه ابنُ تيميَّة فليس بحديث.

هذه كلمة قالها الحافظ ابن الوردي، وهي قيلت في قلة قليلة من العلماء هذا الوصف، كلُّ حديثٍ لا يعرفه ابنُ تيميَّة فليس بحديث، وقال الذهبي أيضا، وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته، فلو حُلفتُ بين الركن والمقام، وهذه الحلف بين الركن والمقام نحن تكلمنا عليها قبل ذلك أنه يدخل تحت في اليمين، قلنا أن هناك حاجة اسمها تغليظ اليمين، أن يحاط اليمين بقرائن تعظم شأنه أكثر كالحلف بعد صلاة العصر والحلف مثلا بين الركن والمقام.

فيقول الإمام الذهبي: فلو حلفتُ بين الركن والمقام، لحلفت: أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم، وأما الإمام الحافظ ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فيقول، ألفيته ممن أدرك من العلوم حظا وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته.

برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه، أما القاضي العلامة بن سوارم السبكي رحمه الله تعالى فيقول لبعض من لقيه والله يا فلان ما

يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به، أما الإمام شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى، ومعروف الخصومة الشديدة التي كانت بين ابن تيمية والسبكي هم كانا متعاصبين وكان بينهما علامات علمية شديدة، ومع ذلك انظر إلى شهادة خصمه الأشد في حقه.

يحكي الإمام الذهبي رحمه الله تعالى أن الإمام السبكي خاطبه وقال له في رسالة يعني أما قول سيدي في الشيخ يعني هل أنا دُعي عليّ أنني أطعن في ابن تيمية، فالمملوك يقصد نفسه، أنه مملوك هذا نوع من التواضع، يقول وأما قول سيدي في الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الَّذي يتجاوز الوصف.

والمملوك يعني أيضا نفسه تقي الدين السبكي، والمملوك يقول ذلك دائمًا، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجلّ، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة، ونصرة الحق، والقيام به لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان، هذا كلام الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى.

أما الإمام العلامة ابن الحريري الحنفي فيقول كان رحمه الله إن لم يكن ابن تيمية، لأن هناك واحد ألف كتاب قال فيه الإعلام بأن من قال ابن تيمية شيخ الإسلام فقد كفر، كعادة الجهلاء وأصحاب الهوى من مخالفي شيخ الإسلام، كان يرد ابن الحريري الحنفي قائلا إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن الذي يستحق هذا اللقب؟

وكتب في المحضر أثناء محاكمة الشيخ قال دفاعا عن شيخ الإسلام إنه منذ ثلاث مائة سنة ما رأى الناس مثل ابن تيمية رحمه الله تعالى، أما الإمام الكبير العلامة كمال الدين الزملكاني رحمه الله تعالى، فقال لم يُر وهذا في القرن السابع، لم ير من خمسمائة سنة أحفظ منه، وقال أيضا رحمه الله سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد البارع

الحافظ الزاهد الورع القدوة الكامل العارف تقي الدين شيخ الإسلام سيد العلماء قدوة الأئمة الفضلاء، ناصر السنة، قامع البدعة حجة الله على العباد، وراد أهل الزيغ والعناد أوحد العلماء العاملين آخر المجتهدين أبا العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، أعلى الله مناره وشيد به من الدين أركانه.

ثم أنشأ يقول، ابن الزملكاني: ماذا يقول الواصفون له ومحاسنه جلت عن الحصر، هو حجةٌ لله قاهرةٌ، هو بيننا أَعجوبة الدهرِ، هو آية في الخلق ظاهرة، أَنوارها أَربت على الفجرِ، أما شيخ الإسلام الإمام العلامة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بين دقيق العيد، رحمه الله تعالى، فقال لشيخ الإسلام لما لقيه وسمع علق عليه قائلا ما كنت أظن أن الله تعالى بقي يخلق مثلك، ما كنت أتصور أن الزمان يجود بأن يخلق مثلك، ما كنت أظن أن الله تعالى بقي يخلق مثلك.

وقال أيضا لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدَع ما يُريد، أما العلامة ابن الوردي الإمام يقول رحمه الله وحضرت مجالس ابن تيمية فإذا هو بيت القصيدة وأول الخريدة، علماء زمانه فلك هو قطبه، وجسم هو قلبه، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر والبحر على القطر.

حضرت بين يديه يوما فأصبت المعنى وكنَّاني وقبل بين عيني اليمنى وقلت إن ابن تيمية في كل العلوم أوحد، أحييت دين أحمد وشرعه يا أحمد، لأن شيخ الإسلام اسمه أحمد، إن ابن تيمية في كل العلوم أوحد، أحييت دين أحمد وشرعه يا أحمد، أما حافظ الإسلام ومحدث الأعلام أستاذ أئمة الجرح والتعديل، شيخ المحدثين الإمام أَبو الحجاج يوسف بن الزكي المزِّي الشافعي رحمه الله تعالى فقد قال في شيخ الإسلام: ما رأَيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أَحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسولهρ، ولا أتبع لهما منه.

أما الإمام العلامة الشيخ إبراهيم الرقي رحمه الله تعالى فقال: الشيخ تقي الدين يؤخذ عنه ويُقلّد في العلوم، فإِنْ طال عمرُه ملأ الأرض علمًا، هو طبعا هناك تحفظ على هذه

الكلمة لأن ما أقصد تخطئة يعني لكن زيادة في المعنى أن علم شيخ الإسلام لم يملأ الأرض فقط في زمانه لكن من خصائص هذا الرجل الفذ أن علمه ملأ الأرض بحيث أنه تجاوز التاريخ وتجاوز الجغرافيا، بحيث الزمان والمكان انتشر علمه إلى اليوم وإلى ما شاء الله تبار وتعالى.

يقول الشيخ تقي الدين يؤخذ عنه ويُقلّد في العلوم، فإِنْ طال عمرُه ملأ الأرض علمًا، وهو على الحقّ، ولا بدَّ أَن يعادِيَه الناسُ، فإنّه وارثُ علم النبوّة، لأن الذي يرث علم النبوة لا بد أن يعاديه الناس وينقسموا في شأنه انقساما عظيم.

أما أمير المؤمنين في الحديث الحافظ الكبير إمام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله صاحب فتح الباري، فيدافع عن شيخ الإسلام لأنه هو أصلا شيخ شيوخه، يعني ابن حجر تتلمذ على تلامذة ابن تيمية، يقول وشهرة إمامة الشيخ تقي الدين أَشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإِسلام في عصره باق إِلى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غدًا كما كَانَ بالأمس.

أيضا هذا تنبأ بأن علم شيخ الإسلام سوف يتجاوز حدوث الزمان ويكون رجل كل العصور، وتلقيبه بشيخ الإِسلام في عصره باق إِلى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غدًا كما كَانَ بالأمس ولا ينكر ذلك إِلَّا من جهل مقداره، أَو تجنب الإنصاف، أما الإمام العلامة شمس الدين البساطي المالكي رحمه الله تعالى فيقول: إمامة الشيخ تقي الدين ابن تيمية في العلم مما لا يحتاج إلى الاستدلال عليه، لحصول العلم الضروري عن الأخبار المتواترة بذلك.

أما الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي رحمه الله تعالى فيقول فوالله ما رمقت عيني أوسع علما ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية، مع زهد في المأكل والملبس والنساء ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن، وقال أيضا ابن تيمية الشيخ الإمام

العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر. البارع شيخ الإسلام علم الزهاد نادرة العصر. أحد الأعلام. كان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين والزهاد والأفراد.

نقفز عبر العصور فنذكر شهادة الشيخ أحمد ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى، يقول فمثل هذا الشيخ يقول في حق شيخ الإسلام، فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود في العالم ومن يطيق أَنْ يلحق شأوه في تحريره وتقريره؟ والذين ضيَّقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه الله تعالى.

أما الإمام العلامة الشوكاني رحمه الله تعالى الإمام محمد بن علي الشوكاني صاحب نيل الأوتار، فيقول لا أعلم بعد بابن حزم مثله، وما أظن أنه سمح الزمان بين عصري الرجلين بمن يشابههما أو يقاربهما، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه.

فنقفز أكثر إلى العصر. الحاضر ونذكر شهادة المفكر الإسلامي مالك بن نبي رحمه الله تعالى ما جنسيته؟ من الجزائر، فيقول مالك بن نبي رحمه الله تعالى وهذه مدرسة فكرية باحتة كتب مالك بن نبي كنا نقرأها في أوائل السبعينيات مترجمة عن الفرنسية، يعني هو أصلا كان يعيش في فرنسا وكتبه أصلا كانت عبارة عن قضايا فكرية في الغالب قضايا فكرية وحضارية إلى آخر هذا الكلام، فيعني شهادة من رجل في أهل الفكر ليس من أهل العلم النقلي.

فمالك بن نبي كما يلقب بالفيلسوف الجزائري يقول: إن تراث ابن تيمية يكون الترسانة الفكرية التي لا زالت تمد الحركات الإصلاحية بالأفكار النموذجية إلى اليوم، وهذه باختصار رجل كل العصور، يقول إن تراث ابن تيمية يُكون، ونحن ابن تيمية لا نتغزل في شخصه، نحن كل هدفنا أن توجد رابطة بيننا وبين كتب شيخ الإسلام هذه القضية الأساسية.

يقول إن تراث ابن تيمية يكون الترسانة الفكرية التي لا زالت تمد الحركات الإصلاحية بالأفكار النموذجية إلى اليوم، يعني إلى شهادات أخرى كثيرة من العلماء في

أعصار مختلفة وأمصار مختلفة، فهكذا كان شيخ الإسلام فذا في عصره وإمام يقتدى به في حياته وبعد مماته ونجما متألقا لم يصبه غفول منذ رأى الحياة وحتى وفته المنية، بل حتى اليوم لم يرى في عصره مثله ولم يرى هو أحد مثل نفسه، كان وما يزال بحرا زخارا بالعلم فياضا بالمعرفة ارتوى منه معاصروه ويرتوي منه الناس من بعده في كل جيل وكل زمان ومكان إن شاء الله تعالى.

ما نعانيه الآن في هذا الزمان ليس نقصا في الكتب بل نقصا في الرجال، الذين يتمثلون العلم الذي في هذه الكتب، وابن تيمية رحمه الله تعالى هو من الرجال القلائل الذين تجسدت فيهم سيرة السلف الصالح بجمعهم بين العلم والجهاد، وهذان الأمران منذ انفصلا عند المسلمين حصل التراجع والتخاذل في واقعهم، فما أحوجنا إلى أن نجدد العهد مع الله I بنصرة هذا الدين وتجديد معالمه وإحياء سنة رسول الله ρ ورفع راية العلم والتزكية والدعوة والبذل كما رفعها علماء الأمة الربانيون أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

فنحن نذكر مناقب وخصائص شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كي نعيد النظر ونفتش في أنفسنا ونقارن أحوالنا بأحوال شيخ الإسلام وتلامذته الذين سنرى بعض مناقبهم وآثارهم من خلال هذه الدراسة، وننهي المقدمة بهذين البيتين فيقول فيهما الشاعر: إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه يكن منه ما يعجبك، فليس لدى المجد والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك، ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة، فمن أراد نفذ وعمل ولا يكتفي بالأماني، يا ليتني كذا يا ليتني كذا، أتمنى أن أكون كذا لا، ليس بالأماني وإنما إذا أعجبتك خصال امرئ فالباب مفتوح فكنه يكن منه ما يعجبك، فليس لدى المجد والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك.

إذا طرقت أبواب المجد والمكارم لن تجد حاجب يحجبك من الدخول، لكن ستجدها مفتوحة لمن أراد الله به خيرا، نختم الكلام هذه الليلة ببريد مستعجل، هو عبارة عن رسالة

ما كان يوجد على أيامهم بريد مستعجل لكن هي فعلا بريد مستعجل، ليس هذا فقط هذا الذي سيرسل الرسالة تشعر وأنت تقرأها أنه شخص يجري وكان أحد يطارده، يريد أن يأخذ منه هذه الرسالة، وهو يلهث، وفي شيء واحد يريد أن يتسابق مع الزمن وأن يدرك أن ينشد الوصية إلى آخرها قبل أن يلفظ أنفاسه، فمنظر شخص كأنه مذعور يجري عبر حواجز الزمن، وكأنه يقول للناس انتبهوا لتراث شيخ الإسلام ابن تيمة وهذا هو المقصد الرئيسي من إثارة هذا الموضوع.

فهذا ما نفتتح به البحث إن شاء الله تعالى سلسلة رجل لكل العصور نبدأها بهذه الرسالة وهي رسالة من الشيخ أحمد بن محمد بن مري الحنبلي، كتبها بعد سنة سبعمائة وثمان وعشرين هجرية مباشرة بعد ما كان هو مغترب خارج دمشق وبلغه نبأ وفاة شيخ الإسلام ابن تيمية وهو مسافر ولم يتمكن من حضوره للجنازة رحمه الله تعالى فمن ثم أراد أن يبلغ هذه الرسالة التي حفظت ولله الحمد مكتوبة مخطوطة إلى أن وقع عليها الإمام الجليل العلامة علامة الشام جمال الدين القاسمي الإمام القاسمي صاحب التفسير المعروف رحمه الله تعالى فوقف عليها الإمام جمال الدين القاسمي منقولة من نسخة منقولة من خط المؤلف، فالمهم استخرجها من مجموع بديع وقام بتصحيحها وكان أول من نشرها، ثم نشرها بعد ذلك الشيخ محمد حامد الفقهي رحمه الله تعالى، نشرت أيضا مؤخر أكثر من مرة، فانظروا هذه الرسالة.

سأحاول ألا أقطع عليكم حبال أفكاركم سأحاول إن كنت أحيانا أعجز عن ذلك ولا أعلق كثيرا يعني.

يقول بسم الله الرحمن الرحيم أيها الإخوان، هو أرسل رسالة لإخوانه بعد وفاة شيخ الإسلام، أيها الإخوان لا تنسوا تقريرات شيخنا الحاذق الناقد الصادق، قدس الله روحه، لمعاني قوله تبارك وتعالى في بيان الحكم الأربع التي أودعه الله سبحانه في ضمن انكسار عسكر الرسول ρ في يوم أحد وهي قوله تعالى ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ

شُـهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِـبُّ الظَّـالِمِينَ* وَلِـيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَيَمْحَـقَ الْكَـافِرِينَ﴾ [آل عمران-140-141].

فلا تهملوا أمر الفكرة الصالحة في هذه المعاني الشريفة وغيرها، ولا تجزعوا لما حصل فإن الله حي لا يموت وهو المتكفل سبحانه بنصر الدين وأهله والمختبر لعباده فيما يبتليهم به، والخبير بجملة مصالحهم الرؤوف بهم والهادي لمن يشاء إلى صراط مستقيم، ولا يهلك على الله إلا هالك والسعيد من قام بما عليه إلى وفاته، ومن أراد عظيم الأجر التام ونصيحة الأنام ونشر علم هذا الإمام الذي اختطفه من بيننا محتوم الحِمام، ويخشى دروس كثير من علومه المتفرقة الفائقة، مع تكرر مرور الليالي والأيام.

فالطريق في حقه هو الاجتهاد العظيم على كتابة مؤلفاته الصغار والكبار على جليتها، من غير تصرف فيها ولا اختصار، ولو وُجد فيها كثير من التكرار، ومقابلتها وتكثير النسخ بها وإشاعتها، العمل الإعلامي في نشر الدعوة فيوصيهم بأنهم بسرعة يلحقوا يعملوا نسخ كثيرة خطية من كتب شيخ الإسلام ولعل الله I قيض أمثال هذه الرسالة لأن شيخ الإسلام كتبه كانت مستهدفة في كثير من العصور، وكانت جريمة أن أحد يضبط عنده كتب شيخ الإسلام، كان يقبض عليه وتحرق الكتب ويعاقب على ذلك بالحبس.

ففعل ذلك الأمير عبد القادر الجزائري، كان يعاقب أي أحد ممن يقتني شيئا من كتب شيخ الإسلام كان يعاقبه ويحرق الكتب وتعهد بتتبعها وإحراقها، في خلال للأسف الشديد الخلافة العثمانية كان في نوع أيضا من الاضطهاد لكتب شيخ الإسلام.

فأنا أذكر كنت قرأت في مكتبة مسجد الحمام في باكوس يوجد فيها نسخه من كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني، هذه النسخة أول ما قرأتها ما عرفت مؤلفها لأنه هو عمل نوع من التعريض في الاسم، لا أذكر كان قال أبو العز السُلالي تعريض ما ذكر اسمه الحقيقي، لأن الكتاب عندما طبع في ظل الدولة العثمانية في بيروت لا يقدر أن يعلن نفسه

أنه يأخذ من كتب ابن تيمية أو يدافع عن ابن تيمية، لكن عمل الكتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني، وخبأ اسمه لأنه خاف أن يعاقب على ذلك.

بل أكثر من ذلك إذا رجعنا إلى الوراء أيضا وتذكرنا كتابه المشهور جدا اللي هو شرح العقيدة الطحاوية، شرح العقيدة الطحاوية في الأول كان حصل اختلاف كبير من مؤلف هذا الكتاب إلا أن استقروا على أنه ابن أبي العز الحنفي، هذا هو اللي شارح، لكن هو طبعا في مرحلة من المراحل ورى باسمه ولم يصرح به إلى أن حقق العلماء في النهاية أنه لابن أبي العز الحنفي لماذا؟ لأنه في الفترة التي ألف فيها الكتاب ما كان يستطيع أن يذكر اسم ابن تيمية ولا أن يذكر اسمه لأن هذه جريمة سوف تجر عليه الأذى والوبال، فور وعرض، إلى أن كشف هذا الأمر.

وبعدين تلاحظوا أنه شيء غريب جدا عمله الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في هذا الكتاب، لأن في طبعة حققها الشيخ الألباني، يعني شرح الطحاوية، الشيخ الألباني عمل جدول الإحالات على مصنفات شيخ الإسلام، بمعنى إن كل كتاب شرح الطحاوية ما هو إلا نقول من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح هذه العقيدة، لكن طبعا المؤلف ما كان يستطيع أن يعزوها لشيخ الإسلام، للسبب الذي ذكرناه الاضطهاد الذي كان موجود.

فعمل الشيخ الألباني عمل جدل ستجدُه في هذه الطبعة، سوف تجدونه العزو، كل موضع موجود في كتب شيوخ الإسلام فيه، فذلك فضل الله يؤتيه لمن يشاء، فلعل الله I سخر أمثال هؤلاء القوم حتى تكثر النسخ وتنتشر في الأرض بحيث حتى الذين أرادوا حرقها في القضاء عليها يكونون كمن أراد أن يسمك ضوء الشمس بيده ليحجبه على أن يصل إلى خلق الله تبارك وتعالى.

يقول: فالطريق في حقه هو الاجتهاد العظيم على كتابة مؤلفاته الصغار والكبار على جليتها، من غير تصرف فيها ولا اختصار، ولو وُجد فيها كثير من التكرار، ومقابلتها وتكثير النسخ بها وإشاعتها، وجمع النظائر والأشباه في مكان واحد، واغتنام حياة من بقي

من أكابر الإخوان فكأننا جميعا بكمال الفوت وقد حان ويكفينا ما عدنا على ما فرطنا من عظيم الأسف، يكفينا أننا فرطنا في حق الشيخ في حياته فلنعوض ذلك بخدمة علمه بعد وفاته.

فلوجه الله معشر الإخوان لا تعاملوا الوقت الحاضر بما عاملتم به الوقت الذي قد سلف، فإن حياته رحمه الله ورضي عنه كانت مأمولة لاستدراك الفارطات الفائتات وتكميل الغايات والنهايات، فاغتنموا تحصيل كل مهمة في وقتها بلا كسل ولا ملل ولا تشاغل ولا بخل، لأن هذا المهم الكبير أحق شيء يبذل فيه تحصيله المال الكثير، وقد علمتم مضرة التعليل والتسويف وكون ذلك من أكبر القواطع عن مصالح الدنيا والآخرة.

فاحتفظوا بالشيخ أبي عبد الله أيده الله وبما عنده من الذخائر والنفائس، من أبو عبد الله؟ هكذا قال كثير من الذين حققوا هذه الرسالة إن المقصود به الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى وقال القاسمي في نسخته يعني ابن القيم أجل تلامذة شيخ الإسلام، لكن العلامة الكبير المحقق الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله تعالى صوب أنه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن رشيق المالكي، المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، لأنه كان هو ناسخ كان الذي ينسخ مؤلفات شيخ الإسلام وهو صاحب كتاب مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية المنسوب خطأ لابن قيم الجوزي رحمه الله تعالى.

فاحتفظوا بالشيخ أبي عبد الله أيده الله وبما عنده من الذخائر والنفائس، وأقيموه لهذا المهم الجليل بأكثر ما تقدرون عليه ولو تألّمتم أحيانًا من مطالبته؛ لأنه قد بقي في فنه فريدًا، ولا يقوم مقامه غيره من سائر الجماعة على الإطلاق، وكل أحوال الوجود لابد فيها من العوارض والأنكاد، يبدو إن ابن رشيق كان ضعيف ذات اليد، كان فقيرا جدا وكان ابن مري يوجهم إنهم يدعموه من الناحية المادية حتى يتفرغ لأداء هذه المهمة، هذا ما فهم وما ذكره بعض المحققين.

فاحتسبوا مساعدته عند الله تعالى، وانهضوا بمجموع كلفته، فإن الشدائد تزول، والخيرات تغتنم، فاكتبوا ما عنده وليكتب ما عندكم، وأنا استودع الله دينَه وما عنده، وأوصيه بالصبر أيضًا وبمعاملة اللهِ سبحانه فيما هو فيه، وإن قصَّر الإخوان في حقه، يقول العلامة بكر أبو زيد في الحاشية توفي ابن رشيق وبقي عليه دَين، الرجل كان في غاية الفقر والمعاناة بسبب الفقر حتى أنه مات وعليه دَين.

يقول: وهذا يدل على تقصير الإخوان في حقه، وأنه كان يعاني من شظف العيش ومرارة الحياة بسبب قلة المال لديه، ولذا حثَّ الشيخ ابن مرّي زملاءه على مساعدته، يقول وأنا أستودع الله دينه وما عنده وأوصيه بالصبر أيضًا وبمعاملة اللهِ سبحانه فيما هو فيه، وإن قصَّر الإخوان في حقه، وليطلب نصيبَهُ من الله تعالى متكلاً عليه في رزقه المضمون ومُجْمِلاً في الطلب، لأن ما قسم لابد أن يكون.

وإنَّ مما أحث هممكم الصالحة عليه: تحصيل كراريس الرد على عقائد الفلاسفة، لأنَّهُ ليس في الوجود بهذا المؤلَف نسخة كاملة غير النسخة التي بخطي وكانت في الخرستان الشمالي من مدرسة شيخنا، وأخبرني الشيخ شرف الدين، وهو شقيق شيخ الإسلام ابن تيمية، وأخبرني الشيخ شرف الدين رحمه الله تعالى أنه أودع المجموع في مكان حريز، يعني يبدو أن هذا هو الكتاب درأ تعارض العقل والنقل والله أعلم.

وطبعا الكتاب فذ يعني كتاب ما له نظير تقريبا يقول البعض في تاريخ البشرية يعني من حيث العلوم العقلية ونقض لمن يقدمون العقل على النقل، وقد قام بتحقيقه أشهر شخص خدم شيخ الإسلام في هذا العصر- من هو؟ الدكتور محمد رشاد سالم، هذا من مفاخر مصر، مصر- أنجبت مثل هذا العالم الجليل، لأنه كان أعلى شخص متخصص في كتب شيخ الإسلام، وخدمها أعظم الخدمات رحمه الله تعالى.

وأخبرني الشيخ شرف الدين أنه أودع المجموع في مكان حريز وقد شحَّ عليّ بإنفاذ هذه الكراريس وقت الذهاب من الشام، ولا قوة إلا بالله، والكراس الرابع منها أخذه أبو

عبد الله من يدي وهو عنده، ونسخة الأصل التي بخط الشيخ هي في القطع الكبير، وكانت هناك أيضًا، وقد بقي من آخر نسختي أقل من ورقة، فأوصلوا ذلك إلى أبي عبد الله، ليُكمل النسخة إلى عند قوله: فهذا باب، وذاك باب، والله أعلم بالصواب.

وللطويسي نسخة بخط كَيّسٍ، وكملوها، لأنه مؤلف لا نظير له، ولا يكسر الفلاسفة مثله، ومن الله نسأل المعونة على جمع شمل هذه المصالح الجليلة بعد شتاتها، ونعوذ به من عوارض القواطع وآفاتها، لأن الفوت صعب وغائلة التفريط رديئة، وانتهاز الفرص من أهم الأمور وأجمعها لمصالح الدنيا والآخرة، وما يعقلها إلا العالمون.

وسيندم المفرطون في استدراك بقايا هذه الأمور الكاملة والمقصرون، كما ندم المتخيلون بطول حياة الشيخ والمغترون، وهذه الأمور التي قد أشرت إليها في هذه الأوراق الخفيفة هي أغلى أبواب النصيحة وأتمها فيما أعلم، لأن الذاهب مضى، والوقت سيف منتضى، وكل من ذهب بعده من أكابر الإخوان ما عنه عوض، والدهر في إدبار، والشرور في زيادة.

وإذا جمعت هذه المؤلفات العزيزة الكثيرة، ونُقل من المسودات ما لم ينقل، وقبل رأيُ أبي عبد الله في ذلك كله؛ لأنه على بصيرة من أمره، وهو أخبر الجماعة بمظان المصالح المفردة التي قد انقطعت مادتها، وقوبل كل ما يكتب مع أصلح الجماعة، أو على نسخة الأصل، ورجح شيخنا الحافظ جمال الدين أي الإمام المزي رحمه الله، الذي هو بقية الخير لثقته وخبرته وشفقته وتحرقه على ظهور هذه المواد الصالحة في الوجود، ولسعة علمه وإحاطته بكثير من مقاصد شيخنا المؤلف.

يعني بمعنى هو يقترح تشكيل هيئة ممن يقوم بالنسخ وهيئة مراجعة للإمام المزي هو الذي يراجع ويشرف على المراجعة، ويراجع أيضا الشيخان العالمان، الفاضلان المحققان شرف الدين وشمس الدين بن أبي بكر وهو ابن القيم فإنهما أحذق الجماعة على الإطلاق في

المناهج العقلية وغيرها، وأذكرهم للمباحث الأصولية، فيما يشتبه من المقاصد خوفًا من التصحيف وتغيير بعض المعاني.

وروجع غيرهم من أكابر الجماعة أيضًا، كان في ذلك خير كثير، واستدراكٌ كبير، إن شاء الله تعالى، والشيخ أبو عبد الله يعني ابن رشيق سلمه الله، هو بلا تردد واسطة نظام هذا الأمر العظيم، فساعِدوه وأزيلوا ضرورتَه، واجمعوا همته، يطالب هنا بأن يفرغوه لأداء هذه الوظيفة، فساعِدوه وأزيلوا ضرورتَه، واجمعوا همته، واغتنموا بقية حياته، واقبلوا نصيحتي فيما أتحققه من هذا كله، كما كنت أتحقق أن اغتنام أوقات الشيخ وجمعها على التآليف والإتقان والمقابلة خير من صرفها في مجرد المفاكهة اللذيذة والمنادمة.

كان في حياة الشيخ يوصيهم دائما لا تضيعوا وقتكم، لا تجالسوا جلسات فيها مفاكهات ونوع من المنادمة ليضيع الوقت، لكن احتفظوا بوقته لكي يستثمره وأجدى، والنفوس فرطت كثيرًا في ذلك الحال، والله المسؤول بأن يكفيها مضرة كمال الفَوْتِ الذي لا عوض عنه بحال، إنه رؤوف رحيم، جوادٌ كريمٌ.

فإن يسَّر الله تعالى وأعانَ على هذه الأمور العظيمة صارت إنْ شاء اللهُ تعالى مؤلفات شيخنا ذخيرةً صالحةً للإسلام وأهلِهِ، يعني أسلحة وذخيرة حتى ما إذا اعتدى معتاد على الإسلام أو على العقيدة نستمد منها لدفع شبهات الأعداء، طبعا أوضح ما يكون استجابة هذه الدعوة من أمثال هذا الشيخ هي ما حصل من الشيخ الجليل الشيخ العاصمي الذي جمع مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية كما هو معلوم في سبعة وثلاثين مجلد، وبعدين الفتاوى الصغيرة فقط.

يعني مجموع الفتاوى هذا يحتوي فقط على الفتاوى الصغيرة لشيخ الإسلام أو معظمها، ولا يشتمل الكتب الكبيرة، يعني في منهاج السنة النبوية والرد على الشيعة والقدرية ولا يشمل مثلا جواب الصحيح على ما بدل الدين المسيح، ولا يشمل اقتداء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ولا يشمل درأ تعارض العقل والنقل إلى آخره

يعني هذه الكتب مستقلة، فإنما جمع الشيخ العاصمي النجدي هو وابنه الفتاوى الصغيرة فقط.

فإن يسَّر الله تعالى وأعانَ على هذه الأمور العظيمة صارت إنْ شاء اللهُ تعالى مؤلفات شيخنا ذخيرةً صالحةً للإسلام وأهلِهِ، وخزانةً عظيمة لمن يؤلف منها وينقل، وينصر الطريقة السلفية على قواعدها ويستخرج ويختصر إلى آخر الدهر إن شاء الله تعالى، رجل كل العصور.

يقول لو أنكم أنجزتم هذه المهمة الآن فسيكون لكم ثواب في حفظ هذا التراث الذي ينتفع به إلى ما شاء الله، يقول وخزانةً عظيمة لمن يؤلف منها وينقل، وينصر الطريقة السلفية على قواعدها ويستخرج ويختصر إلى آخر الدهر إن شاء الله تعالى.

قال ρ : **«لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعة الله»** وقال: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقومَ الساعة»**. والله I يقول في كتابه: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:8]، هو بدأ هنا يقترب من السطرين اللي هم أهم شيء في هذه الرسالة على الإطلاق.

فهنا يقترب يقول لهم إن هذه ستكون ذخيرة لمن يأتي من بعد ممن يستفيد من هذه الكتب وينقل منها ويرد بها على الشبهات ثم إنه ذكر دليل على طول مباشرة، قال: **«لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعة الله»** فكأنه كان يؤمل شيخ الإسلام كتبه سوف يستمد منها دائما الحركات التجديدية لتجديد الدين ستسمد من هذه الكتب: **«لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعة الله»** والحديث الآخر: **«لا تزال استمرار طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقومَ الساعة»** والله I يقول في كتابه: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:8].

وكما انتفع الشيخ وهنا تفسير الآية الذي تكلمنا عنه قبل: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:74] ما تفسيرها؟ نبهنا مرارا أهمية اتقان تفسير هذه الآية، هو تفسير مختصر

﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:74] يعني اجعلنا نهتدي بهدي من قبلنا من المتقين حتى نصلح لأن يقتدي بنا من بعدنا.

وأفرد كلمة إماما مع هو الظاهر واجعلنا للمتقن أئمة، صيغة الجمع لكن إمام إشارة إلى وحدة المنهج، وإنه غير متعدد، كأن وحدة المنهج هي وحدة للأجساد، ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:74].

فهنا يشير لهذه العبارة يقول: وكما انتفع، كأنه يشرح هنا المصوغات هذه النبوءة التي سوف يتنبأ بها، يقول: وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبله فكذلك ينتفع بكلامه من بعده إن شاء الله تعالى، يعني هو أيضا يراعي الأدب مع الله I بأن يقول إن شاء الله تعالى مع ذكر هذا الشيء الذي يتنبأ بحصوله، فكأنه هنا يستدل بالسنن، السنن الإلهية في هذا الكون.

كما ينتفع الإنسان بمن قبله فبركة الاندفاع بعلم السلف تنعكس في أن ينتفع من يأتي بعده به هو، وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبله فكذلك ينتفع بكلامه من بعده إن شاء الله تعالى، وهذا انتفاع لا يكون إلا عن طريق حفظ تراثه، وهذا هو محتوى الرسالة التي يلهث وهو يسديها إلى إخوانه تلامذة شيخ الإسلام.

فاتبعوا أمر الله، واقصدوا رضا الله بجمع كل ما تقدرون عليه من أنواع المؤلفاتِ الكبار، وأشتاتِ المسائل الصِغار، ومن نسخ الفتاوى المتفرقة، وسائر كلامه الذي قد مُلِئَ، ولله الحمد، من الفوائد والفرائض والشوارد، فأيقظوا الهمم، وابذلوا الأموال الكثيرة في تحصيل هذا المطلب العظيم الذي لا نصير له، فهذا هو الذي يلزمنا من حيث الأسباب، والتمام على رب الأرباب ومسبب الأسباب وفاتح الأبواب، الذي يقيم دينه، وينصر كتابه وسنة نبيه على الدوام، ويثبت من يؤهله لذلك من أنواع الخاص والعام، وكلٌّ مَجزيٌّ في القيامة بعمله، وما ربك بظلامٍ للعبيد

وقد عُلم أن الإمام أحمد بن حنبل كان ينهى في حال حياته عن كتابة كلامه ليجمع القلوب على المادة الأصلية العظمى، وهذا معروف عن الإمام أحمد كان يكره أن يكتب

أحد كلامه، كان ينهى في حال حياته عن كتابة كلامه ليجمع القلوب على المادة الأصلية العظمى، وهي القرآن والسنة، ولما توفي استدرك أصحابه ذلك الأمر الكبير، فنقلوا علمه وبينوا مقاصده، وشهروا فوائده، فانتصرت طريقته، واقتفيت آثاره لأجل ذلك، والوجودُ هو على هذه الصفة قديمًا وحديثًا.

أيضا ليعيد تذكيرهم بالسنن والأخذ بأسباب حفظ العلم، فيقول الإمام أحمد نفسه الإمام نفسه كان ينهى من يكتب كلامه، وهذا فيه خطر عظيم أن الإمام لو توفي ولم يحتفل تلامذته بكتبه لاندثر علمه ولذلك كم من إمام ضيعه تلامذته حينما لم يدونوا علمه، وإنما المذاهب التي حفظت هي التي اجتهد تلامذته الإمام ومن أتى بعدهم في حفظها وتحريرها ونحو ذلك وتدوينها، فحفظ المنهج الحنبلي بأن قيض الله أصحاب الإمام بعد وفاته بأن حفظوا تراثه ومذهبه، فانتصرت طريقته واقتفيت آثاره لأجل ذلك.

والوجود هو على هذه الصفة قديما وحديثا أيضا تذكير بالسنن، لأن السنن أن لا بد من أخذ أسباب حفظ العلم كي ينتشر، ثم يقول: فلا تيأسوا من قبول القلوب القريبة والبعيدة لكلام شيخنا، فإنه ولله الحمد مقبول طوعا وكرها، كلام شيخ الإسلام يقبل طوعا وكرها، طوعا من المحبين وكرها من المخالفين.

وطبعا هذا كله من علامات الإخلاص فلا تيأسوا، يعني الإمام أحمد رحمه الله تعالى لإخلاصه هو نهى عن كتابة كلامه وكان ينهى عن ذلك ويشتد في ذلك، وتشديد ذلك كتابة الطرق الحكمية لابن القيم، فكافأه الله على إخلاصه أن قيض من بعده من حفظ علمه ومذهبه كما هو معلوم، فلا تيأسوا من قبول القلوب القريبة والبعيدة لكلام شيخنا، فإنه ولله الحمد مقبول طوعا وكرها، وأين غايات قبول القلوب السليمة لكلماته، وتتبع الهمم النافذة لمباحثه وترجيحاته.

ويأتي بيت القصيد في هذه الرسالة، أهم سطور في هذه الرسالة على الإطلاق، وتأملوا العجب العجاب في هذا الكلام الذي اخترق حاجز الزمن وفعلا رأيناه ماثلا أمام العيان،

يقول الشيخ، ووالله إن شاء الله ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه رجالاً هم إلى الآن في أصلاب آبائهم.

يعني تعبير في غاية الروعة والصدق يقول ووالله إن شاء الله ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه رجالاً هم إلى الآن في أصلاب آبائهم، وهذه هي سنة الله الجارية في عباده وبلاده، والذي وقع من هذه الأمور في الكون لا يحصي عدده غير الله تعالى.

فعلا لو تأملت التاريخ الإسلامي من بعد شيخ الإسلام إلى اليوم لوجدت أثر هذه الفراسة التي ظهرت من كلام ابن مزين رحمه الله تعالى، ومن ثم يعني بعض المستشرقين من أعداء الإسلام طبعا كان من شدة انبهاره بابن تيمية واعجابه بأثره التاريخي فيمن أتوا بعد كان يقول إن ابن تيمية وضع في التاريخ الإسلامي ألغاما حقول ألغام منها ما انفجر ومنها من لا ينفجر بعد، فكان يذكر أن من الألغام التي انفجرت دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

طبعا هو استعمل مصطلحات يعني تليق به كعدو من أعداء الإسلام، الانفجار يكون فيه دمار وتخريب وترويع، أما هذا فليس إلا البناء والعمار والإصلاح.

يقول: ووالله إن شاء الله ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه، واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه، رجالاً هم إلى الآن في أصلاب آبائهم، في ذلك الوقت كان ابن باز والألباني والعثيمين والقاسمي كل هؤلاء الأئمة مئات من الأئمة كانوا فعلا في أصلاب آبائهم، لم يخرجوا إلى الوجود وبالفعل انتفعوا بهذا العلم الغزير.

وهذه هي سنة الله الجارية في عباده وبلاده، والذي وقع من هذه الأمور في الكون لا يحصي عدده غير الله تعالى، ومن المعلوم أن البخاري مع جلالة قدره أُخرج طريد، ثم مات

بعد ذلك غريباً، وعوضه الله سبحانه عن ذلك بما لا خطر في باله ولا مر في خياله، من عكوف الهمم على كتابه، وشدة احتفالها به، وترجيحها له على جميع كتب السنن، وذلك لكمال صحته، وعظمة قدره، وحسن ترتيبه وجمعه، وجميل نية مؤلفه، وغير ذلك من الأسباب.

ونحن نرجو أن يكون لمؤلفات شيخنا أبي العباس من هذه الوراثة الصالحة نصيب كبير إن شاء الله تعالى، لأنه كان بَنَى جملة أموره على الكتاب والسنة، ونصوص أئمة سلف الأمة، وكان يقصد تحرير الصحة بكل جهده ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه، لا يهاب مخالفة أحد من الناس في نصر هذه الطريقة، وتبيين هذه الحقيقة.

وقد عُلِمَ أن لكتبه من الخصوصية والنفع والصحة، والبسط والتحقيق، والإتقان والكمال، وتسهيل العبارات، وجمع أشتات المتفرقات، والنطق في مضايق الأبواب، بحقائق فصل الخطاب، ما ليس لأكثر المصنِّفين، في أبواب مسائل أصول الدين وغيرها من مسائل المحققين، لأنه كان يجعل النقل الصحيح أصله وعمدته في جميع ما يبني عليه، ثم يعتضد بالعقليات الصحيحة التي توافق ذلك وبغيرها، ويجتهد على دفع كلّ ما يُعارض ذلك من شبهة المعقولات، ويلتزم حلّ كل شبهة كلامية وفلسفية، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

ويلتزم أيضا الجمع بين صحيح النقول وصريح المعقول، ويجزم بأن فرض دليلين قطعيين متعارضين من المحال إن كان عقليين أو عقليا ونقليا، قال لأن الدليل هو الذي يجب ثبوت مدلوله فإما ألا يكونا قطعيين وإما ألا يكونا مدلولاهما متناقضين، وعلى هذا المقصد الجليل بنى كلامه المتين وتقاسيمه العجيبة في أول قاعدته الكبيرة الباهرة التي ألفها في دفع تعارض العقل والنقل.

فكانت مقاصده وتحقيقاته في هذا الباب العظيم عجبا من عجائب الوجود، وكان يقول لا يتصور أن يتعارض حديثان صحيحان قط، إلا أن يكون الثاني منهما ناسخا

للأول، قال والإمام أحمد بن حنبل كان في زمنه يصرح به ويلتزم تحقيقه، وأنا في زمني ألتزم حكم هذه القاعدة أيضا والنهوض بالجواب عن كل ما يعارضها.

وكان رحمه الله ورضي عنه، يذب عن الشريعة ويحمي حوذة الدين بكل ما يقدر عليه، وكان كما علم من حاله لا يخاف في هذا الباب لومة لائم، ولا ينثني عما يتحقق عنده، ولم يزل على ذلك إلى أن قضى نحبه، ولقي ربه، فقدس الله روحه، ونور ضريحه، ونصر مقاصده، وأيد قواعده، والله سبحانه يعلم حُسن قصده، وصحة علومه ورجحان دليله، وهو ناصر الحق وأهله، ولو بعد حين.

وجميع ما وقع من هذه الأمور فيه من الدلالة إن شاء الله على شمول أمره، وظهور كلمة هذه العلوم الباهرةِ أكثر مما فيه من الدلالة على خلاف ذلك، ولا قوة إلا بالله، غير أن الأشياء المقدورة، تفتقر إلى أسبابها المعلومَة، ولهذا كان الرسولُ ρ وهو في العريش يوم بدر يجتهد على الاستغاثة بالله التي كانت أكبر أسباب النصرة في ذلك اليوم، بعد أن عرَّفه الله تعالى، قبل ذلك، جلية مصارع القوم.

يعني يقول لا بد من أخذ الأسباب، أن مع أن الرسول أشار إلى مصارع القوم هنا يصرع فلان وهنا يصرع فلان من صناديد قريش فهو على يقين من النصر، لكن هذا لا يمنع من الأخذ بالأسباب، فلذلك كان يستغيث بالله Y يقول ولما التزمه أبو بكر من ورائه قائلاً له: **«يا رسول الله، أهكذا مناشدتُك ربَّكَ، فإنه وافٍ لك بما وعدك»**، إن الله وعدك بالنصر لم يترك استغاثته بربه لعلمه أن الأمور المقدَّرة لابد أن تقع بأسبابها اللازمة لها، المعروفة بها.

ومصداق ذلك ما أنزله سبحانه في تقرير هذا الأمر، وتحقيق هذه القاعدة، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:9] يعني بسبب الاستغاثة، فإذًا القدر جاء بالأسباب، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

مُرْدِفِينَ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:9-10].

لأنه سبحانه بيّن حكم الأسباب المتقدمة والمتأخرة، ورد الأمر إلى حقائق التوحيد، بقوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأنفال:10] يعني ليس بالأسباب وإنما هو من عند الله، وهذا هو نهاية مطالب هذا الباب، واتباع هذه الأحكام الثابتة على هذه الصفة المؤيدة، هو بلا شك أعلى مراتبِ العبودية، وأنفعها وأرفعها في حق مجموع البرية، فأكثروا من استعمال هذا الأمر الجليل، وحسبُنا الله ونعمَ الوكيلُ، والحمد لله وحده، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله، وسلامه على جميع الصالحين.

بهذا انتهت هذه الرسالة البريد المستعجل التي أرسلها ابن مري لتلامذة شيخ الإسلام مباشرة بعد وفاته ليستدركوا الأمر ويؤد هذه الأمانة للأجيال التي تأتي من بعده، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللّٰهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت واستغفرك وأتوب إليك.